دائرة ثقافة الاطفال

هولاكو والأسرى الأربعة

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل .
السلسلة القصصية ٢٥

هولاكو والأسرى الأربعة

قصة ورسوم : عقيل سوار
المجسَّمات والملابس : صفية سوار
الاخراج الفني : سامي الربيعي

مكتبة الطفل
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة القصصية ٢٥

دائرة ثقافة الاطفال

في قديمِ الزمانِ كان العراقُ مضربَ الامثالِ ، أرضهُ خصبةٌ ، مياههُ عذبةٌ ، وشعبهُ سعيدٌ ، وماكان في الدنيا بلدٌ اجملُ منَ العراقِ ، ولاشعبٌ أغنى من شعبِه.حتى أنَّ الطيورَ كانتْ تفضّله على جميعِ البلدانِ وتتغنّى بجمالِه .

وكانَ العراقُ يملكُ ثروةً كبيرةً من الكُتُبِ النادرةِ التي ماكانَ أحدٌ في الدنيا يملكُ مثلَها .

وفي إحدى السنواتِ كانت بعضُ الطيورِ تطيرُ في السماءِ قادمةً الى العراق وهي فَرِحَةٌ تُغنّي :

هو العراقُ لِمنْ أرادَ سَعادةً ... هو العراقُ لِمنْ أرادَ جَمالا

هو العراقُ لمن أرادَ ضِيافةً ... هو العراق لمن أرادَ قِتالا

حملتِ الرياحُ غناءَ الطُّيورِ الى قِمم الجبالِ ، وهناك كانَ يعيش قائدٌ متوحِشٌ اسمُه «هولاكو» . سَمع هولاكو غناءَ الطيورِ فامتلأ قلبُه بالحقدِ ، فجهَّز جيوشاً كثيرةً ،عبَر بها الجبالَ والسهولَ والوديانَ متوجهاً نحوَ العراق .

وصلتْ جيوشُ التّتار الى العراق ، وبدأتْ تهاجمُ القرى الواقعةَ على نهرِ دجلةَ ، فقاتلها أهالي القُرى قتالاً شديداً ، لكنَّ جيوشَ التّتارِ كانت كثيرةً فما استطاعَ الأهالي ان يَغلِبوها .

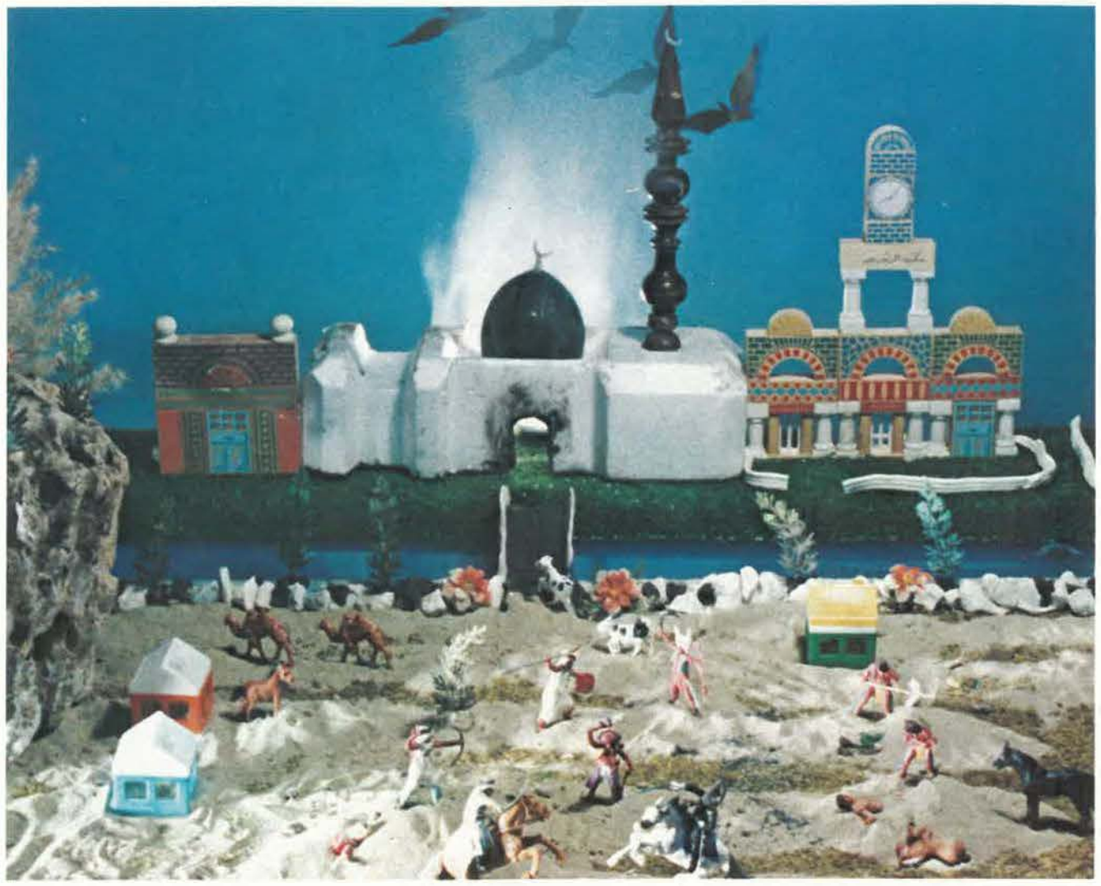

دخلَ جنودُ التَّتارِ العراقَ وأحرقوا المزارعَ والمساجدَ ، وهَدموا البيوتَ وقتلوا الأطفالَ والنّساء .

ظنَّ التَّتارُ انهم كَسبوا الحربَ فقال هولاكو لأحدِ الأسرى:(لقد انتصرنا عليكم).ردّ عليه الأسيرُ (لكن الحربَ ما انتهتْ بعد !) .

ضَحِك هولاكو وجنودُه وسَخِروا منه ، وما مضى وقتٌ طويلٌ حتى اكتشفَ هولاكو صِدْقَ كلامِ الأسيرِ (فالحربُ ما انتهتْ) ! لأنَّ اهالي العراق كانوا يكمنونَ لجنودِ التَّتارِ ويقتلونَهم واحداً واحداً .

وفي أحدِ الأيام جاءَ الوزيرُ «دندان» الى هولاكو فَوجدَه ينظرُ بغضبٍ الى الطيورِ الجبليةِ ، وهي تشيرُ اليه بأجنحتها وتغنى : –

باسمِ الذي جلبَ المياهَ من الجبالِ بنهرِ دِجْلَهْ
لايرتضي شعبُ العراق حُكْمًا لدندانٍ وبغلَهْ

وكلّما ردَّدتِ الطيورُ الأغنيةَ ، كان هولاكو يَهيجُ مثل الثَّورِ وينطحُ الجبلَ بقرنيه الكبيرين وهو يصيحُ : – كفى . . كفى . . انا هولاكو العظيمُ قاهرُ الشُّعوبِ ومدمِّرُ الحضارات !

فلما رأى دندانُ ذلك ، تقدَّمَ من هولاكو وهو يقول :

ما الذي يُغْضِبُكَ يامولاي . . إن جيوشَك انتصَرتْ وتحَّققَ حُلمُك !

التفتَ هولاكو الى دندانٌ وصاحَ به غاضباً :

ألا تسمعُ ماتقولُه هذهِ الطيورُ اللعينةُ ؟ . ألا ترى الأطفالَ يرمونَنا بالحجارةِ ويبتسمون ؟

قال دندان وهو خائفٌ : ولكنْ يامولاي نحنُ نحتلُّ أرضَهم ، فماذا يَهمُّنا إذا غَنتِ الطُّيورُ وابتسمَ الأطفالُ ؟ إنهم مجانين ! !

(ليسوا مجانينَ أيها الوزيرُ الغبيُّ) صرخَ هولاكو غاضباً . . (انَّهم يسخرونَ مِنَّا . . . يبتسمون لأنَّنا ما استطعنا ان نَهزمَهم . . ونُذِلَّهم ، يجبُ أن نُذِلَّهم . . يجبُ أن نُذِلَّهم !)

خافَ دندانُ كثيراً من غضبِ هولاكو . . فسجدَ وقبَّل الأرض بين يديهِ وهو يقول : – سنُذلُّهم يامولاي . . سنذلُّهم إنَّني أعِدُك بذلك !

في صباح اليومِ التالي اختارَ دندانُ مجموعةً من اقوى جنودِ التتار ، وذهبَ معهم ليهاجموا القُرى ، فقاوَمهم أهالي القُرى حتى قُتِل جميعُ الجنود ، فلما وجدَ دندانُ نفسَه وحيداً رجعَ مُسرعاً

الى هولاكو ، وأخذ معه أربعةً من العراقيين العُزّل . . تقدَّم دندانُ من هولاكو وهمسَ في أذنه لكي لايسمعَهُ أحدٌ وهو يكذِبُ فقال : هؤلاءِ الأربعةُ يامولاي جاؤا نيابةً عن اهالي العراق ليعبِّروا لكَ عن ولائِهم !

فَرِحَ هولاكو لما سَمعَ كلامَ دندان وقال له :

دَعهم يتقدمونَ ليقبِّلوا الأرضَ بين يديّ .

(تقدَّموا وقبّلوا الأرضَ بين يدي مولايَ هولاكو العظيم قاهرِ الشعوبِ ومدمِّرِ الحضاراتِ) صاحَ دندانُ بالأسرى الأربعة .

تقدّمَ أكبرُ الأسرى سِنّاً ، وهو شيخٌ اسمه الحاج كاظِم ، ووقفَ ينظرُ الى هولاكو،ثم بَصقَ في وجهِه وبدأ يضحَك . . فغَضِب هولاكو وبدأ يصرخُ مثلَ الوحش : خُذوه الى السجن . . خُذوه الى السجن .

جاء دور الأسير الثاني ، فتقدم أنورُ وهو طفلٌ من أولاد الفقراء ، ملابسُه ممزقةٌ ، لكنَّ علاماتِ الذكاءِ والفِطنةِ تبدو واضحةً على وجهِه .

صَرَخَ دندانُ :

(تَقدمْ وقبّلِ الأرضَ بين يدي مولايَ هولاكو العظيمِ قاهرِ الشعوبِ ومدمِّرِ الحضارات) . .

اقتربَ انورُ وقال وهو يبتسمُ :

سمعاً وطاعةً . . ولكن لي شرطٌ !

سأله هولاكو: (وماهو شرطُك) ؟

قال انور : أن ترفعَ قدميك عن الأرضِ !

قال هولاكو متعجباً : ولماذا أفعلُ ذلك ؟

ابتسمَ انورُ وقال:لأن هذه الأرضَ طاهرةٌ ، وأنتَ تُدنّسُها بقدميكَ . . فإذا رفعتَ قدميكَ عنها صارتْ طاهرةً فأقدرُ أنْ أقبّلها .

أُعجبَ هولاكو بذكاءِ انور ، ولكنه شعرَ بالأهانةِ فتقدَّم نحوه وهو يقول :

اذا لم تسجدْ وتقبِّلِ الأرضَ بين يديَّ ، أمرتُ بقتلك .

فكَّر انورُ قليلاً ثم رفعَ رجلهُ وركلَ هولاكو في بطنِه فوقعَ على الأرضِ فبَصَق عليه انور .

(أَبعدوه عنِّي . . أبعدوا هذا الشقيّ من هنا . . انه يستحقُ القتلَ !) صرخَ هولاكو وهو واقعٌ على الأرضِ . . فهجمَ دندانٌ على انورَ وأبعَده عن هولاكو .

بعد ذلك تقدَّم الأسيرُ الثالث . . وكان تاجراً جباناً اسمه حسن (هيَّا اسجدْ وقبّلِ الأرضَ بينَ يدَيْ هولاكو العظيمِ قاهرِ الشعوبِ ومدمِّرِ الحضاراتِ) قال دندان .

تقدَّم التاجرُ وهو يرتعِدُ من الخوف . . فسجدَ أمامَ هولاكو وهو يقول :

ارجوك . . ارجوك لاتقتلني ياسيدي . .

فرِح هولاكو كثيراً وأخذ يرقُص مع وزيره دندان . .

جاءَ دورُ الأسيرِ الاخير . . وهي فتاةٌ جميلةٌ من بغدادَ اسمُها زينب.لما رآها هولاكو أعجبَه جَمالها ، فقال لها :

تقدَّمي وقبّلي الأرضَ بين يَدَيَّ ، وسأجعلُكِ زوجةً لي !

تقدمتْ زينبُ وجلستْ على الأرضِ فاعتقدَ هولاكو أنها جلستْ لتقبّلَ الأرضَ بين يديه فتقدَّم نحوها وأخذَ يلاطِفُها ، لكنَّه تفاجأ لما أخذتْ زينبُ حفنةً من الترابِ وألقتْها في وجهِهِ وهي تضحك . .

غَضِبَ هولاكو وبدأ ينطحُ الجبلَ بقرنيه الكبيرين ، وكانتِ الُّطيورُ الجبليةُ تطيرُ في السماءِ ، فلما رأتْ هولاكو ينطحُ الجبلَ نزلتْ على الجبلِ وهي تغني :

بِـالحَسَنِ الـتـاجـرْ هولاكو لاتـغـتَـرْ

فـقـد أتتْ زيـنبْ وقـد أتى أنور

لَّما سمع هولاكو غناءَ الطيورِ زادَ غضبُه فسحَبَ سيفه التتري وتقدم من دندانَ وهو يقول : وَعدتَني أن تُذِلَّهم أيها الوزيرُ الغبيّ . . وها أنتَ تُذِلُّني وتجعلُني مَهزلةً امامَ الناسِ؟

تراجع دندانُ خائفاً وهو يقول :

ارجوك . . ارجوك لاتقتلني يامولاي . .

لكن هولاكو رفعَ سيفَه عالياً وضرَب دندانَ ضربةً قويةً قطعتْ رأسَه .

بعد أن استراحَ هولاكو قليلاً ، رفعَ رأسَ دندان بيديه وخاطبَ جنودَهُ قائلاً: أيها التّتار أنا غاضبٌ وحزينٌ لأننا ما استطعنا أن نهزِمَ هؤلاءِ الناس ونُذلَّهم. فمنِ استطاعَ منكم ان يُخفي الابتسامةَ من شِفاههم ويحبِسَ الضِحكةَ في صُدورِهم ألبستُه هذين القرنين وجعلتُه وزيري .

تقدّمَ أحدُ التّتار وكانَ طويلَ اللسانِ قليلَ الكلامِ اسمه «ميناس». «أنا أستطيعُ ذلك يامولاي»

قال ميناس هامساً :

نظرَ هولاكو الى ميناسَ وفكّر قليلاً ثم قال : وكيف ستفعلُ ذلك ؟

اقتربَ ميناسُ من هولاكو وهمسَ في أُذُنِهِ بكلامٍ لم يسمعْهُ أحد . . ضحِكَ هولاكو وقال وهو يهزُّ رأسَه : إنها خطّةٌ لابأسَ بها :

ثم اقتربَ منه وألبسَه قَرْنَيْ دندان وهو يقول : – ولكنْ إذا فَشِلَتْ خطتُك يامياس فسوف أُنزلُ رتبتَك من وزيرٍ الى سائسٍ وأحرمُكَ من ركوبِ الخيلِ إلى الأبد .

في صباح اليومِ التالي جمعَ ميناسُ أقوى جنودِ التّتار وقالَ لهم :

أيها التّتار باسم هولاكو العظيم قاهرِ الشعوبِ ومدمِّرِ الحضاراتِ اذهبوا الى بَغدادَ وأحرِقوها بيتاً

بيتاً . . مكتبةً مكتبةً . . مسجداً مسجداً . . وأخرجوا جميع الكُتُبِ وألقوا بها في النهر . . فهذه الكتُبُ هي ثروتُهم ففيها تاريخُهم ومنها مصدرُ عِزَّتهم .

هجم التَّتارُ على بغدادَ مثلَ الوحوشِ وبدأوا يحرقون المكتباتِ والمساجدَ والمنازلَ ويُلقونَ بالكتبِ في النَّهرِ ، حتَّى امتلأ النَّهرُ بالكتب.ودارتْ معركةٌ كبيرةٌ بين جنودِ التَّتار وأهالي بغدادَ عند النهرِ وراح الجنودُ يدوسون على الكتبِ بخيلهم منتقلين من جانبٍ الى الجانبِ الآخر من النهر .

حَزِن أهلُ العراقِ كثيراً لأنَّ خسارتَهم كانت كبيرةً.لكنَّ حزنَهم ما استمرَّ غيرَ أيامٍ قليلةٍ وبعد ذلك بدأوا بمهاجمة معسكرِ التَّتار كلَّ يومٍ في الليل وفي النهارِ ، عند ذلك عَرفَ هولاكو انَّ هزيمةَ هؤلاءِ الناسِ مستحيلةٌ ، فقرر أن ينجوَ بِجِلدِهِ ويرحلَ عن العراق ، ثم ركبَ عربتَه وأمر سائسَهُ ميناسَ أن يطوفَ به في شوارع بغدادَ ليُلقي عليها النظرةَ الأخيرةَ قبلَ رحيله .

وعندما مرَّ موكبُ هولاكو في شوارع بغداد . . خرجَ الأطفالُ الى الشوارع وصعدوا على أسطحِ المنازلِ وأخذو يرمونَهُ بالحجارةِ . وهم يغنّون :

دجلةُ .. يافرات ما أضعفَ الغُزَاة

قدماتَ هولاكو وأنورٌ ما مات

السلسلة القصصية

٢٥

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل

الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دائرة ثقافة الاطفال – مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الاطفال – ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ٥٠ فلساً عراقياً
وخارج العراق ١٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها